الأخلاق عند كونفوشيوس

الأستاذ: خوضر رياض
جامعة محمد بوضياف المسيلة

Résumé

A cause de la corruption des mœurs et de la société et la propagation du chaos et les guerres, Confucius a essayé d'inviter les chinois a ressusciter la sagesse des ancêtres et de nouveaux rois .Et appeler pour l'amour et la pais en se concentrant sur les principes éthiques ,li_yi_gen_Hisiao .Il a aussi confirmé le rôle d'un superman dans le retour des mœurs .Il a également confirmé le rôle de la musique dans la compréhension de la loi moral , et dans ses écrits éthiques :spécifiques (le retour de la moralité chinoise vers la bonne voix et le travail sur l'intégrité des mœurs individuelles),généraux(Confucius met des règles éthiques pour toute l'humanité.

- **الكلمات المفتاحية :**

التاو - التعليم. - تعيين المعنى و اللفظ – الجين – لي - هسياو. يي.

1-دوافع التنظير الأخلاقي عند كونفوشيوس:

قبل التعرض للاتجاه الفلسفي العام لكونفوشيوس ودعائم فلسفته ،لا بد لنا وأن نتطرق الى تلك الأسباب التي جعلت هذه الشخصية تتخذ اتجاها فلسفيا،حيث قام بعملية تنظير لمجموعة من الدعائم و المبادئ و القيم.

لقد نشأ " كونفوشيوس " في عصر انحلال خلقي وفقر مادي وانحطاط ديني ،و كان الأباطرة ضعافا وأمراء الولايات في حروب مستمرة، ولا هم لهم سوى جمع الضرائب من المزارعين، ونتج عن ذلك أن أثرى بعض الأفراد على حساب بعضهم الآخر،فاختل التوازن الاقتصادي وظهرت الفوارق الشاسعة في توزيع الثروات ،ولهذا دعا كونفوشيوس بالعودة الى حكمة الماضي كأصل لبناء الحاضر (01)

ويتضح ذلك جليا في قوله ونقلا عن أحمد فخري " ربما كان في استطاعتي مقارنة نفسي بصديقي القديم ليوبنج ،إذ أني أوضح التقاليد القديمة. وأتبعها ولكني لا أخترع شيئا جديدا، إنني أحاول الوصول الى الحقيقة ولا شيء غير ذلك . وأحب دراسة ما خلفه القدماء " (02)

وبالتالي كان كونفوشيوس يصف نفسه بأنه ناقل وغير مبدع ،وكان يقول أن كل ما يفعله هو أن ينقل إلى الناس ما تعلمه من الأمبراطوريين يون و شون. وقد كان كونفوشيوس يعلم أتباعه فن الاستدلال ولكنه لم يكن يعلمهم اياه بطريقة القواعد أو القياس المنطقي، بل بتسليط عقله القوي دائما على آراء تلاميذه ولهذا فإنهم كانوا إذا غادروا مدرستهم لا يعرفون شيئا عن المنطق، لكن كان في وسعهم أن يفكروا تفكيرا واضحا دقيقا. (03)

وقد أرجع كونفوشيوس غموض الأفكار وعدم الدقه فيها الى الخلط في الأسماء، لهذا دعا الى وجوب أن يلزم كل انسان مكانه وذلك بأن يتبوأ الامبراطور المركز الخليق به ولا يتعدى النبلاء والوزراء اختصاصهم ولا يتجاوز عامة الناس حدوده، فالوالد يظل والدا والابن ابنا والزوجة زوجة ويدعوا كونفوشيوس هذه النظرية "تقويم الأسماء (04)

وبهذا كان لا بد من العمل على تعيين المعاني الدالة على الألفاظ ليثبت المعنى مستقيما حتى لا يمكن التلاعب به و إفساد الاستدلال.

و لما كانت النزعة المسيطرة على كونفوشيوس هي تطبيق مبادئ الفلسفة على السلوك والحكم، فقد كان يتجنب البحث في ما وراء الطبيعة ويحاول أن يصرف عقول أتباعه عن كل الأمور الغامضة أو الأمور السماوية ويستدل على ذلك من رده على سؤال لأحد مريديه عن تأدية الواجب اتجاه الأرواح .كما ورد عن ويل ديورونت:" إنك ما تزال عاجزا عن القيام بواجبك اتجاه الناس فكيف تستطيع تأدية واجبك اتجاه الأرواح "(05)

وعندما سأله مريد آخر عن الموت تملص من الإجابة فكما ورد عن ابو زهرة قال : "إنك لا تستطيع فهم الحياة فكيف يمكنك فهم الموت"

من هنا تظهر نزعة الشك أو اللا أدرية التي عرفت بها هذه الشخصية ،لذلك لم يكن همه سوى الاهتمام بكيفية اصلاح المجتمع سياسيا وأخلاقيا ويكون ذلك بالعودة إلى الفضيلة.

لقد كان المجتمع الصيني القديم وأوضاعه يعد سببا في كتابة كونفوشيوس السياسية والأخلاقية، حيث كان يسوده الخلق الكامل والسلوك القويم، ولكن خلف من بعدهم خلف لم يسلك الأخلاق.

وفي القرن السابع عشر قبل الميلاد حكمت الصين أسرة ارتكبت من الظلم ما أوقع الشعب في الفوضى والاضطراب وجعل حكام الولايات يسيرون في طريق الاستبداد وانحدر الشعب الصيني في طريق الرذيلة والانحلال الخلقي . وفي هذه الظروف ظهر كونفوشيوس وبدل أقصى ما يملك لإرجاع الأخلاق الصينية إلى سابق عهدها. (06)

وقد أنشأ كونفوشيوس نظامه الأخلاقي هذا انطلاقا من كتابات تتعلق بالعرافة وسيطر عليها السحر و الاخلاقية، فنجد "تي" Te و"المانا" MANA القوة الداخلية عند القدماء وكونفوشيوس خاصة تعنيان الفضيلة بالمعنى الأخلاقي وتصبح القوة التي تمارسها المانا هي قوة المثال التي رأى فيها كونفوشيوس أنها قادرة على تحويل الخير إلى قوة لا يمكن مقاومتها (07)فالنظام الأخلاقي الكونفوشي مرتكز أساسا على مجموعة من المبادىء .

فيا ترى ما هي المبادىء الأخلاقية التي يقوم عليها النظام الأخلاقي عند كونفوشيوس.

2-الطريق نحو الخلق الكريم عند كونفوشيوس:

إن الخلق الكريم يعتبر من أهم الركائز في النظام الأخلاقي الكونفوشي ، ومن أجل الوصول اليه وضع كونفوشيوس مسلكين هامين"مسلك التاو" ومسلك " التعليم " وفي اتباعهما يتحقق للفرد اصلاح نفسه وإصلاح مجتمعه. إذن كيف يكون التاو والتعليم مسلكين للوصول الى الخلق الكريم ؟

أ – التاو : إن فكرة " التاو " أو الطريق تعتبر فكرة أساسية لفلسفة كونفوشيوس وأقدم معنى للفظ التاو هو الدرب أو المسلك. وهو عبارة عن عادة بين الناس قبل عصر كونفوشيوس، فكانت بهذا المعنى او بمعنى آخر الذي هو أسلوب السلوك الذي قد يكون لا بالحسن ولا بالسيء (08) .

أما بالنسبة لكونفوشيوس فلم يكن للفظ دلالة رمزية، وإن كان للمصطلح نفس المعنى المعروف أي النهج أو السراط والنظام والترتيب والانسجام، فهو الطريق

الرئيسي الذي يجب على الانسان سلوكه لكفالة السعادة للبشرية بأسرها في هذه الدنيا . (09)

لكن أتباع الفلسفة التاوية الذين اشتقوا اسمه من الاصطلاح ،استخدموه مدلولا لفكرة رمزية تعبر عن المادة الاولى للكون أو مجموعة الأشياء بأسرها ويطالعنا في هذا المقام عبارة تنسب الى "لاوتزو" تقول : " إن التاو أو السبيل او النهج قد انتج الواحد والواحد قد انتج الثنائية وتطورت الثنائية الى تثليث وانبعث عن التثليث الآلاف المؤلفة من الأشياء. (10)

ومن هنا اذن نستنتج ان التاو يعد أهم الطرق للوصول الى القانون الاخلاقي

ب – التعليم : يعتبر من اهم العوامل التي تجعل من الأفراد يفهمون القانون الاخلاقي والوصول الى الخلق الكريم، ومن تم وجب عليهم أن يتعلموا آراء القدماء وما ورد عن قصصهم ومن مهام التعليم إفهام الأفراد الأسس التي تقوم عليها الفضيلة وبالتالي ليس هناك لتجسيد الاخلاق الكريمة بالاستغناء عن التربية والتعليم. (11)

هذه الاخيرة التي تجعل من الفرد مواطنا صالحا ويكون الاعتماد الأكبر عليها في تهذيب الأخلاق وعلاوة على هذا ،تعتبر سلامة النية شرطا أساسيا من شروط الوصول إلى القانون الأخلاقي، ويعني بسلامة النية أن لا يخدع الإنسان نفسه وأن يعمل على إرضاء ضميره ويتطلب منه ذلك ان يحاسب نفسه ويراقب سلوكه و ان يكون عادلا في اصدار احكامه غير متحيز. (12)

ج – نظرية تعيين المعنى واللفظ : إن أول شيء بدأ به كونفوشيوس فلسفته الخلقية والذي يمثل الجانب النظري منها ،هي نظرية تعيين المعنى واللفظ ،وهي النظرية التي ابتدأ بها سقراط فلسفته من بعد كونفوشيوس ،وذلك لما تشابهت به أحوال العصرين الذين عاشا فيهما المفكرين. (13)

وقد وضحنا هذه الدروس في مناسبة سابقة، وقد كان مضمونها عموما التلاعب بالألفاظ، هذا التلاعب جاء لتوهين الأخلاق، لهذا دعا كونفوشيوس الى العناية بمعاني الأسماء والألفاظ الدالة على المسميات حتى إنه لما سأله تلميذه عن أول شيء يقوم به عند توليه الحكم في الامارة ،قال كونفوشيوس كما ورد عن ابو زهرة : " إذا لم تكن الاسماء صحيحة لا يوافق الكلام حقائق الأشياء ،وإن لم يكن الكلام موافق للحقائق وقع الخلط في اللغة وفسدت الأمور ،فلا تزدهر الآداب

ولا الموسيقى ويضطرب التفكير ،ولا تنزل العقوبات على من يستحقها " ولذلك يرى كونفوشيوس انه من الضروري أن توافق الأسماء مسمياتها لتمكين التكلم بها والعمل بها والرجل الكامل الخلق ،لا يستهين بكلامه ولا يهمل في تعبيره (14) .

وعناية كونفوشيوس هنا بتعيين الألفاظ كما أسلفنا الذكر هو جزء من عنايته هو أن يكون الشخص الكامل ،على تمام المعرفة بنفسه وبحقائق الأشياء . فهو يحث على المعرفة الصحيحة ويعتبرها جزءا غير قابل للانفصام عن منهاجه الخلقي، فمن حسن كمال الفضيلة للرجل حسن إدراكه للأمور.

3-قواعد الأخلاق عند كونفوشيوس:

أ – الجين GEN :

إن النظام الأخلاقي الكونفوشي يرتكز على مجموعة من المبادئ والفضائل، هذه الأخيرة تعتبر الطريقة المثلى لتغيير الأخلاق الفاسدة ،وتدعوا الى نظام أخلاقي متين ومن هذه المبادىء والفضائل نذكر أولها الجين ، حيث أكد كونفوشيوس عليه واعتبره أحد المبادىء الأولى من نظامه الأخلاقي، حيث يرى أن ما يجعل البشر إنسانيين هو الجين، وهو في جوهره طيبة القلب الإنسانية، ولقد ترجمت كلمة جين بطرق شتى ومن هذه الترجمات الفضيلة الانسانية الحب الخير.....ألخ .

كما عرفه كونفوشيوس أنه حب البشر والآخرين، وهذا الحب له تبعات أخلاقية هامة، الأمر الذي يقتضي التفكير في هذا المبدأ من منظور أخلاقي(15) .

حيث يقول كونفوشيوس كما جاء عن zenker " يرغب كل انسان في الثروة والشرف، لكنهما إذا تم تحقيقهما عن طريق مخالفة المبادىء الأخلاقية فإنه لا ينبغي الإبقاء عليهما ،ويكره كل إنسان الفقر وتواضع المرتبة ولكن إذا لم يكن بالإمكان تجنبهما إن لمخالفة المبادىء الأخلاقية فإنه لا ينبغي تجنبهما ،وإذا ما نأى شخص رفيع المكانة في الإنسانية الجين فكيف يمكن أن يحقق تلك المكانة حتى ولو من أجل وجبة طعام واحدة ،فهو في لحظات التعجل وهو مسرع يعمل وفقا لها (16)

وهو في أوقات الشدة و الإضطراب يعمل أيضا وفقا لها كما ورد في شرح كونفوشيوس الجين ، أن رجل الجين المحب للإنسانية هو ذلك الذي يود أن يبنى خلقه وخلق الآخرين، ويتمنى أن يكون بارز الشأن متفوقا بين أقرانه وهو يساعد

الآخرين، لا أن يكونوا كذلك وعليه فقد آمن كونفوشيوس بأن الرجل الفاضل هو من يدرك ذلك القانون الأخلاقي الكائن في ادراك الوسط بين الافراط والتفريط. (17)

و بالتأمل الجيد لهذا النظام الأخلاقي ،يمكننا القول أن للجين الأهمية البالغة،إذ أن الحياة بدونه ليست جديرة بأن يحياها الإنسان ،ومن يتسم بالحكمة يعد مثقفا حقيقيا وهو لا يقترف ما من شأنه الاضرار بالجين ،يقول كونفوشيوس " إن المثقف الحازم رجل إنسانية الجين لا يسعى قط للحياة على حساب الاضرار بالإنسانية الجين ،فهو يؤثر التضحية بحياته لكي يحقق الانسانية الجين(18) .

ب – لي LI:

على الرغم من أن الجين هو أساس الإنسانية ،فقد أدرك كونفوشيوس أن هناك حاجة ماسة في الحياة اليومية، إلى أدلة مبشرة أكثر، وقد وجد هذه الأدلة المعينة في قواعد اللياقة أو آداب المجتمع "لي" التي تحكم العادات والمراسيم والعلاقات التي تم الاعتراف بها من خلال ممارسة الناس لها عبر العصور ،وبالتالي فهي تشكل دليلا لتحقيق الجين في الحاضر ولهذا عندما سأل سائل عن الجين قال كونفوشيوس " أن يسيطر المرء على نفسه وأن يعود إلى آداب المجتمع "لي" تلك هي الإنسانية " (19)وتشير السيطرة على النفس إلى تنميتها وقهرها للإنسانية، وغرس الخواص الداخلية فيها، وهي الإخلاص و الإستقامة ،وبالتالي ينظر إليها كونفوشيوس على أنها أساس اللي فهو يقول كما جاء عن كارل ياسبرس " إذا كان في مقدور الإنسان الحاكم ان يسيطر على نفسه ليوم واحد ،وأن يعود إلى اللياقة فإن كل ما تحت السماء سيعود إلى الإنسانية الجين ، وممارسة الإنسانية تعتمد على المرء نفسه"(20) .

وبالتالي فالجين هو اساس لي وان ما يجعل لي أساس السلوك هي الحقيقة القائلة بأن اللي تتفق مع الجين ،ولهذا يهتم كونفوشيوس يهتم بها أشد الإهتمام. بحيث يرى أن من خلال "لي" تتم المحافظة على العدالة ،وتختبر الثقة العامة وتكتشف الأخطاء الناجمة عن الممارسة الخاطئة ،ويرفع لواء " الجين" وتتجلى هذه الأهمية أكثر من خلال ملاحظة كونفوشيوس "لي" فهو المبدأ الذي جسد من خلاله الملوك القدماء شرائع السماء. ونظموا التعبير عن الطبيعة الانسانية ومن هنا : من يحرز "لي" يعيش ومن يفقده يموت "(21) وعند "لي" مفهومين آخرين عند كونفوشيوس هما :

المفهوم الأول :

وهو أقدم مفهوم ديني. حيث يعنى بطقوس الممارسات الدينية، فسرعان ما أصبح يشير الى طقوس أخرى كطقوس الزواج والاحتفالات العسكرية، وبالتالي موافق غاية تتوافق مع الاعراف والقواعد ذات الطابع الديني والاجتماعي. (22)

اما المفهوم الثاني :

فيشير الى مجموعة عرفية من ألوان والسلوك الجتماعي ، وبالتالي فهو القانون العرفي،أو الأخلاق السائدة، وبالتالي "لي" يحل محل القانون المكتوب. و"لي" ليس له معنى سلبي .بمعنى يقول :"افعل هذا" بدل من" افعل هذا" . أما المعنى الأخير لـ : "لي" هو أي شيء مناسب. بمعنى أنها تتوافق مع الأعراف الإنسانية "الجين" .وهذا الأخير يعد أكثر أهمية بالنسبة لكونفوشيوس على الرغم من استعماله لـ مصطلح "لي" لجميع معانيه . فإذا نظرنا إلى "الجين" باعتباره بذرة الانسانية . فإن "لي" هو الذي يوفر الأجواء لنمو هذه البذرة. (23)

جـ - هسياو HSIAO(ولاء الأبناء):

لقد أكد كونفوشيوس أهمية العائلة في تطوير "الجين" لأن العائلة تشكل البيئة الإجتماعية المباشرة للطفل ففي العائلة يتعلم الطفل احترام الآخرين وحبهم، حيث يأتي احترام الآباء أولا فالإخوة والأخوات فالأقارب ،ثم باتساع النطاق التدريجي ليشمل الإنسانية كافة، لهذا فالولاء البنوي والإحترام الأخوي هما جذر الإنسانية.و "الهيساو" هو فضيلة توقير العائلة واحترامها. فأولا وقبل كل شيء يتم توقير الأبوين ، لأن الحياة نفسها متولدة عنهما(24).

فإن كان "هيساو" يعني أصلا تمجيد الآباء الموتى و الأسلاف ، والواجبات التي ينبغي أن تؤدى لهم بتقديم القرابين والطعام ومختلف الشعائر الدينية.

إن كونفوشيوس قد شدد على تأدية الواجب للأحياء. واصبح الولاء البنوي يعني " خدمة الوالدين أثناء حياتهما" ولا تقف هذه الخدمة على عند كونفوشيوس للآباء بإطعامهما فالخيول والكلاب- كما يقول- تجد لها طعاما فعلى الأبناء- في المكان الاول – فريضة توقير الأبوين فان ارتأى الابن رأيا فعليه عرضه على الأبوين في لطف وكياسة فان ضرباه لا يشتكي. (25)

وفي غمار إظهار التوقير للوالدين. من المهم ايضا حماية الجسم من ان يلحق به أذى. حيث ان الجسم من الابوين. ومن هنا فان حماية الجسم هو تكريم للأبوين بل أكثر من ذلك فان التوقير ينبغي اظهاره للأبوين من خلال حسن السلوك في الحياة وجعل

اسهامهما معروفا ومبجلا. وإذا لم يكن بمقدور المرء أن يشرف اسما أبويه، فيجب عليه أن لا يجلب لهما الخزي والعار على الأقل.

لهذا لما أخبر أحد الأمراء كونفوشيوس بوجود رجل بدولته يتصف بالاستقامة المطلقة، إلى درجة أنه شهد ضد أبيه لاغتصابه شاة من جار له ،فاستنكر كونفوشيوس فعل الابن وقال كما جاء عن فؤاد محمد شبل :"إن على الولد أن يتستر على والده. وأن يحجب الابن خطيئة والده فهاهنا الاستقامة الحقة"(26) .

وهكذا فإن الهسياو لا يتمثل في الرعاية البدنية من جانب المرء بوالديه فحسب وإنما كذلك في جلب الثراء العاطفي والروحي، ومن المهم بالقدر نفسه أن يكون أهدافهما وأغراضهما التي لم تتحقق هي نفسها بعد موتهما، أهداف وأغراض أبنائهم، بل إن أكثر من هذا أهمية من تقديم القرابين إلى روح الوالدين الراحلين ولكن " الهسياو"الذي تحدث عنه كونفوشيوس، ليس فضيلة عائلية فقط ،فهذه الفضيلة التي تنشأ في العائلة، وتؤثر في الأفعال خارج المحيط العائلي وتصبح من خلال اتساع نطاقها فضيلة أخلاقية واجتماعية ،وعندما يتعلم الأطفال احترام أبويهم وتوقيرهم كان بمقدورهم ان يحبوا إخوتهم ويحترموهم(27) بذلك إذا أحسنت أخلاق أفراد الأسرة ومعاملتهم، حسنت أخلاق المجتمع لأن المجتمع ما هو إلا امتداد للأسرة . ولأننا إذا علمنا كل أسرة كيف تتخلق،فإن المجتمع كله يتعلم كيف يتخلق ،وإذا تعودت كل أسرة على العطف والشفقة ، تعود المجتمع أيضا عليه . وإذا عملت كل أمة على إصلاح حالها ،فإن الإنسجام والوئام سيعودان الى المجتمع الإنساني بأسره (28).

وبذلك عندما ينتقل الحب من الأفراد الى الاسرة ثم الى المجتمع ،فإنه بالإمكان أن ينتقل إلى الإنسانية بأسرها عندما يوجه حب الإنسانية في الأفعال فإنهم يتصرفون وفقا لإنسانيتهم أو وفقا لـ : "الجين" ولذلك فإن بدايات "الجين" إنما توجد في "هسياو".

د- يي Yi :

تعتبر"يي" إحدى الفضائل التي شدد عليها كونفوشيوس، باعتبارها ضرورية لتطوير "الجين" و"يي" و"يي" تترجم عادة على أنها الإستقامة ،فهي تدلنا على الطريق الصحيح للتصرف في مواقف محددة بحيث تكون على توافق مع "الجين"وبالتالي فإن "يي" هو الإستعداد الأخلاقي للقيام بالسلوك ،والقدرة على إدراك الصحيح في آن

واحد. وهي قدرة تعمل على التنوع كنوع من الحس أو الحدس الأخلاقي وهذه القدرة تحدث عنها كونفوشيوس من خلال شخصية المرء و استقامته الأخلاقية. (29)

فالإنسان ذو الشخصية الأخلاقية القوية هو الذي يرى فرصة للكسب، فيفكر أولا في ما إذا كان القيام بذلك من شأنه أن يكون صوابا على الصعيد الأخلاقي لـ : "يي" ومثل هذا الشخص مستعد للتضحية بحياته ،من أجل شخص يتعرض للخطر ومن هنا نلاحظ أن كل ما هو متسق مع "يي" إنما هو غير المشروط، والمطلق وبعض الأفعال يتعين القيام بها لا لشيء إلا لأنها صواب وحق، فهذه الأفعال لابد وأن تتناسب وتتوافق مع "يي" والشخص الذي يتصرف مع "يي" ذلك الفعل هو الصواب، وهو ليس بعيدا عن "الجين" (30).

4-الإنسان الماجد:

من خلال معالجتنا لمبادىء النظام الأخلاقي الكونفوشي، اتضح لنا أن كونفوشيوس، قد انتهى إلى أن الفرد المنظم في الأسرة هو أساس المجتمع وبه تتحقق الفضيلة وتسود الأخلاق. وأن هذا الفرد الكونفوشي له ما يميزه حتى يسمو الى هذا الدور المشار اليه، وقد لقب كونفوشيوس هذا الفرد بالرجل الفاضل أو الرجل الأعلى.

حيث اعتبر أن الرجل السامي المثالي ،تجتمع فيه الفلسفة والقداسة. فيتكون منه الحكيم وهو على ثلاث فضائل الشجاعة . الذكاء. وحب الخير. وفي ذلك يقول كما ورد عن ويل ديورانت :" الرجل المثالي يخشى أن لا يصل إلى الحقيقة ،وهو لا يخشى أن يصيبه الفقر ،وهو واسع الفكر غير متشيع إلى فئة ،وهو يحرص على أن لا يكون فيما يقول شيء غير صحيح . (31)

ولكنه رجل ذكي وحسب ،وليس طالب علم ومحب للمعرفة وكفى، بل هو ذو ذكاء وذو خلق ." فإذا تجاوزت صفات الإنسان الطبيعية صفاته المكتسبة، غلبت عليه الجلافة . وإذا تجاوزت صفاته المكتسبة صفاته الأصلية ،تحول الى مجرد إنسان يتحكم فيه الروتين .فإذا ما اقترنت الصفات الأصيلة المكتسبة نحصل على ما يسمى بالإنسان الماجد ،الذي يتمسك بكرم الاخلاق في أفعاله وتصرفاته وفي جميع الظروف والملابسات فإذا انحرف عن المنحى الخلقي الكريم لم يعد جديرا بهذا

اللقب الرفيع ويجعل الماجد السبيل القويم نصب عينيه ولا يكرسه حياته لكسب معاشه " (32) .

وقوام الأخلاق الصالحة هو الإخلاص وفي هذا السياق يقول كونفوشيوس كما ورد عن أبو زهرة :" وليس الاخلاص الكامل وحده هو الذي يميز الرجل الأعلى إنه يعمل قبل أن يتكلم. ثم يتكلم بعدئذ وفق ما عمل. وليدنا في الرماية ما يشبه طريقة الرجل الأعلى , ذلك أن الرامي إذا لم يصب مركز الهدف رجع الى نفسه ليبحث فيها عن سبب عجزه". (33)

ومن صفات الرجل الماجد انه يمارس ما يقول قبل التبشير به ويتسامى بما يمارس اما الخسيس فينحط إنه يدرك ما هو صواب ولا يفهم الخسيس إلا ما هو مربح. إنه يراعي الفضيلة في حين يراعي الخسيس الحيازة والاقتناء ،يفكر الماجد في الصداقة المجردة ،لكن يفكر الخسيس في اجتناء المنفعة من وراء الاتصالات الشخصية. (34)

وعليه فإن الحكيم الكونفوشي لا يسمع إلا لصوت الواجب (35)، والرجل الأعلى يلتزم الطريق الوسط، فقد آمن كونفوشيوس بأن الرجل الفاضل هو من يدرك ذلك القانون الاخلاقي , الكائن في إدراك الوسط بين الافراط والتفريط , ويلزم هذا الوسط في سلوكه فلا يعلو عليه فيخرج عن دائرة البشر , ولا يتصرف تصرفات بهيمية شهوانية , فيصبح انسانا لا اخلاقيا . (36)

وهو يتمسك أشد التمسك بالقاعدة الذهبية , لهذا لما سئل كونفوشيوس ما هي الفضيلة الكاملة ؟ قال : كما جاء عن ول ديورنت :" الفضيلة الكاملة ألا تفعل بغيرك ما لا تحب أن يفعل بك" لهذا اعتبر كونفوشيوس أنه ثمة كلمة واحدة يستطيع الانسان ان يتخذها قاعدة له هي المبادلة (37) لذلك لم يرغي كونفوشيوس فيما رغب فيه لو-دزه هو أن يقابل الشر بالخير .بل كان يرى أن يقابل الحسنة بمثلها والسيئة بالعدل .... إذن ماذا يقصد كونفوشيوس بالعدل هنا (38)

العدل عند كونفوشيوس هو أن يكون الجزاء من جنس العمل وأن الرحمة في جميع أحوالها لا تقتضي العدل، لكن العدل في جميع أحواله رحمة ومنه اعتبر كونفوشيوس أن القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الانسان الأعلى، هي العطف على الناس جميعا (39)وبالتالي فكونفوشيوس بهذا المعنى هو قريب من الاسلام، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم وفي قوله تعالى "فمن اعتدى عليكم

فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله " ." وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير". (40)

ويمكن أن نجمع صفات الانسان الأعلى عند كونفوشيوس في العبارة التالية " أن يحمل نفسه بالعلم ليل نهار , ويقدس الامانة ويفضل الموت على الذل والمسكنة , وأن يعيش مع المحدثين , وفي نفس الوقت يدرس التراث القديم , وإن عاش في خطر واضطراب فإن روحه تضل في أمن واطمئنان , ولا ينسى اخوته في الانسانية الذين يقاسون الآلام وفي ذلك يكون شعوره بالمسؤولية الإجتماعية .(41)

ومن هنا نرى أن إنسان كونفوشيوس يختلف عن سوبارمان نيتشة ، فإنسان كونفوشيوس المثالي يرى أن في استطاعة الآخرين ان يصبحوا نظراءه أما سوبرمان نيتشة فهو انسان متعجرف يحتقر الآخرين .(42) .

من خلال ما سبق نستنتج أن "يي" و "هسياو" و"جين" هي خصائص الشخص الأسمى , الشخص الذي تطورت إنسانيته والذي تفتحت مداركه ونضج وعيه فقد كان كونفوشيوس مقتنعا بان العناية بالإنسانية من خلال "لي" و"هسياو" و "يي" سوف تقضي بالشخص لتجسيد فعلي للفضيلة ولكن ما يمكن قوله في الأخير أن كونفوشيوس يعتبر طريق الرجل الماجد خصلة خلقية، وليس امتيازا موروثا وهذا ما يوضح مدى إحداث كونفوشيوس لثورة أخلاقية في المجتمع الصيني.(43)

5-دور الموسيقى في فهم القانون الأخلاقي

لقد اهتم كونفوشيوس بالموسيقى، وكان يعتبرها من الأعمدة التي يقوم عليها نظامه الإجتماعي والتي تساعد على فهم القانون الأخلاقي، فالموسيقى ليست ترفا عقليا , بل هي تلعب دورا اجتماعيا فعالا في إصلاح الحياة الإجتماعية والنفس البشرية إذا تأثرت بالعالم الخارجي وما به من ظواهر اجتماعية وطبيعية، فإنها تعبر عن هذا التأثير بأصوات , تختلف في درجتها ونوعها حسب كل حالة على حدى , أي تعبر عن التأثر بصوت وإذا رتبت الأصوات بشكل معين نتج عنها نغم معين (44) وإذا رتبت الأنغام نتج عنها الموسيقى , وفي القلب الإنساني أوتار مختلفة كل منها مرتبط بانفعال انساني خاص , وعندما تمس الحوادث الجارية وترا في القلب فإن الإنسان يعبر عنه بنغم معين(45) , وهذا النغم الموسيقي يؤثر بشكل عكسي على الحالات النفسية وذلك بتهدئة النفوس مثلا . وبهذا نستطيع تهدئة النفوس بالموسيقى

وتحسين علاقته الاجتماعية ببعضهم البعض على هذا الشكل نستطيع تدعيم التضامن الاجتماعي بين الأفراد عن طريقها ودراسة نفسية أي شعب ودراسة مدى تقدمه وتأخره.

فالموسيقى الهادئة تعبر عن شعب يعيش الرخاء والسلام, وبالعكس موسيقى الشعوب التي تعمها الفوضى موسيقى مضطربة . والمسيقى عند كونفوشيوس تعكس العالم الكوني , بحيث يرى بأن لكل ظاهرة في العالم الكوني او الاجتماعي نغم خاص يدل عليها ويعكسها.(46)

وفي الأخير يمكن القول أن الموسيقى تمثل بأنغامها المختلفة كل شيء في الوجود و المجتمع ونستطيع عن طريقها اصلاح ما اعتل من شؤون هذا العالم سواءا في تلك الظواهر الطبيعية والاجتماعية والفردية , لذلك على الأفراد أن يتعلموا الموسيقى لانها تؤدي بهم إلى مداوات أنفسهم من الامراض وتجعلهم أقرب من فهم القانون الأخلاقي.

6- أثر في كونفوشيوس الأخلاق الصينية:

لقد كانت عبقرية كونفوشيوس هي التي قلبت الكثير من المفردات في لغة الديانة البدائية إلى مفردات أخلاقية،و حولت تلك الديانة إلى نظام أخلاقي ،و ذلك مع انتقال المجتمع من الإهتمام بالفأل الحسن و السيئ،إلى الإهتمام بالصواب و الخطأ.

لذلك ظلت كتابات كونفوشيوس جيلا بعد جيل النصوص المقررة في المدارس الصينية،يكاد كل صبي يتخرج من تلك المدارس أن يحفظها عن ظهر قلب ،وتغلغلت النزعة المتحفظة القوية التي يمتاز بها كونفوشيوس في قلوب الصينيين ،وسرت في دمائهم،وأكسبت أفراد الأمة الصينيةكرامة وعمقا في التفكير لا نظير لهما،في غير تاريخهم أو في غير بلادهم،واستطاعت الصين بفضل هذه الفلسفة أن تحي حياة اجتماعية متناسقة ومتآلفة(47).

وعلى هذا الأساس يمكن القول ،أن المجتمع الصيني جعل من أخلاق كونفوشيوس ،مصدره الأساسي في ترسيخ النزعة المحافظة ،هذه الأخيرة التي زادت من كرامة الصينيين ،وعملت على اتحادهم وزرع روح المحبة بينهم.

كما أن التعاليم الأخلاقية الكونفوشية ، قد حافظت على كيان الروح الصينية والعائلة الصينية،أكثر من ألفي سنة.وبفضل هذه التعاليم ،هيمنت على العقلية

الصينية عقيدة التفاؤل؛القائلة بقابلية الإنسان لبلوغ الكمال بفضل التحصيل العلمي. وبعثت في نفوس الصينيين ،إعجابا شديدا بالعلم و الحكمة، ونشرت في بلادهم ثقافة مستقرة هادئة، أكسبت الحضارة الصينية قوة،أمكنتها أن تنهض من كبوتها وتسترد قواها،بعد الغزوات المتكررة التي اجتاحت بلادها. وبهذا نرى أن تعاليم كونفوشيوس الأخلاقية ،قد بثت روح الفضيلة من جديد،في سلوك الصينيين،وأكسبهم روح المحبة والخير بينهم ،والجنوح الدائم نحو السلام .

7- شرح بعض المصطلحات و المفاهيم:

1- التاو:تترجم عادة باسم "المنهج" و معناه الإنتظام في الطبيعة.

2-التعليم:هو تعلم الأفراد الصينيون مبادئ الخلق الكريم عن القدماء و إفهام الأفراد الأسس التي تقوم عليها الفضيلة.

3-تعيين المعنى و اللفظ:و هي أن توافق الأسماء الصحيحة حقائق الأشياء عند كونفوشيوس

4-الجين:هي الفضيلة ،الإنسانية،الحب عند كونفوشيوس.

5-لي:هي قواعد اللياقة أو آداب المجتمع.

6-هسياو:هو فضيلة توقير العائلة و احترامها.

7-يي:و هي الإستقامة عند كونفوشيوس.

8-الهوامش:

(1)الشهرستاني:الملل و النحل،ترجمة عبد العزيز محمد الوكيل،دار الإتحاد العربي القاهرة د ط 1961 ص20

(2)أحمد فخري كونفوشوس: حكيم الصين، مجلة المجة القاهرة العدد 7 1957 ص46

(3)و ل ديورانت:قصة الحضارة ج4ت،محمد بدران،دط1966

(4)فؤاد محمد شبل:حكمة الصين،ج1،دار المعارف مصر ،د ت ص71

(5)ويلديورنت،مرجع سابق 53

(6)محمد أبو زهرة مقارنة الأديان،دار الفكر العربي 1991 ص76

(7)محمد أبو زهرة مرجع سابق ص76

(8)جفري بارندر:المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،ترجمة إمام عبد الفتاح إمام،مكتبة مدبولي،ط2 1996 ص 321

(9)فؤاد محمد شبل :المرجع السابق ،ص ص 74، 75

(10)ألبان ،ويديجري :التاريخ و كيف يفسرونه:من كونفوشيوس إلى توينبي ،ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد د ط،1978 ص 20

(11)فؤاد محمد شبل :حكمة الصين ،المرجع السابق ،ص 76

(12)المرجع نفسه ،ص ص49،50

(13)حسن شحاتة سعفان:الكتب الخمسة لكونفوشيوس،مج4، دار الفكر،دط،دت،ص786

(14)الشهرستاني:المرجع السابق،ص 27

(15)محمد أبو زهرة:المرجع السابق ،ص76

(16)المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(17)جون كولر:الفكر الشرقي القديم،ترجمة يوسف كامل و آخرون،عالم المعرفة،1995،ص 350

(18) Zenkler:l'histoire de la philosophie chinoise,paris,p128

(19) مصطفى النشار:المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية،دار قباء القاهرة،ط1، ص 83

(20)جون كولر المرجع السابق ،ص351

(21)المرجع نفسه ،ص352

(22)karlJaspers:les grands philosophes,Fance 1966,p216

(23)جون كولر: المرجع السابق، ص353

(24)المرجع نفسه ،ص354

(25)Karl Jaspers:p217

(26)جون كولر:الرجع السابق ص 358

(27)فؤاد محمد شبل :المرجع السابق ص90

(28)جون كولر:المرجع السابق ،ص 356

(29)فؤاد محمد شبل:المرجع السابق،ص90

(30)حسن شحاتة سعفان:المرجع السابق ،ص788

(31)جون كولر:المرجع السابق،ص 356

(32)المرجع نفسه،ص357

(33)و لديورند:المرجع السابق،ص 57

(34)محمد فؤاد شبل:المرجع السابق،ص91

(35)ولديورنت:المرجع السابق،ص57

(36)محمد فؤاد شبل:مرجع سابق،ص 91

(37)محمد عبد الستارالنصار:دراسات في فلسفة الأخلاق،دار العلم الكويت ،ط1، 1982 ص 279

(38)مصطفى النشار:الفلسفة اليونانيةمن منظور شرقي،دار قباء1998 ص 41

(39)ولديورنت:مرجع سابق ،ص 58

(40)سورة البقرة الآيتين 226،193

(41)ولديورنت:مرجع سابق ،ص58

(42)أحمد عطار،الديانات و العقائد في مختلف العصور،ج1،مكة المكرمة،ط1981،1،ص57

(43)مصطفى النشار:الفلسفة اليونانية من منظور شرقي،ص 41

(44)محمد عبد الرحمان مرحبا وآخرون ،بداية الفلسفة الأخلاقية،مؤسسة عز الدين للنشر ط 1،1995،ص 113

(45) رالف لينتون: شجرة الحضارة ج 3، ترجمة أحمد فخري ،مكتبة أنجلو مصرية دط 1961،ص208

(46)حسن شحاتة سعفان:المرجع السابق،ص 790

(47)المرجع نفسه،ص790